
القراءة للجميع
قطر الندى
وَاحِدٌ مِنْ سَبْعَة
تأليف:
حلمى محمد القاعود
رسوم:
عصام طه
سلسلة تصدر نصف شهرية - العدد ١٦٤

وَاحِدٌ مِنْ سَبْعَةٍ

تأليف:
حلمى محمد القاعود

رسوم:
عصـــام طـــه



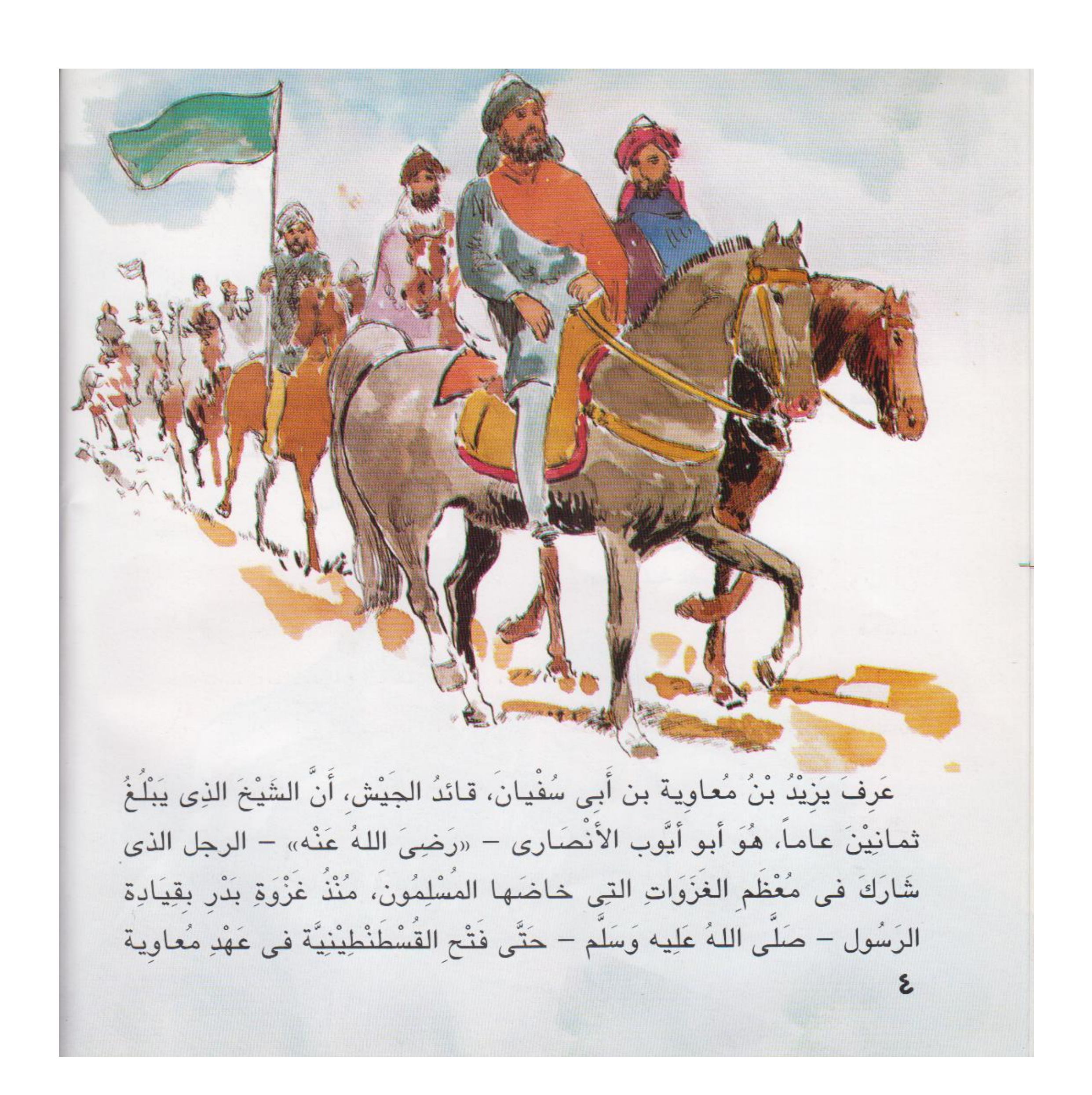

قطر الندى

الفَاتِحُ الحقيقىُّ

نظر المُسْلِمُون من بَعِيْدٍ، فَرَأَوْا شَيْخاً كَبِيْرَ السِنِّ، لا تَكَادُ تَحْمِلُهُ رِجْلاَهُ، يَتَجِهُ إِلَيْهِمْ فى عَزْمٍ وَثَبَاتٍ، وَعِنْدَما وَصَلَ إِلَيْهِمْ قَالَ لَهُمْ:

– خُذُوْنِى مَعَكُمْ.. لاَبُدَّ مِنْ الخُروجِ فى سَبِيْلِ اللهِ.. أُرِيدُ أَنْ أَشْهَدَ بِشَارَةَ الرَسُول – صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمْ – بِفَتْح «القُسْطَنْطِيْنِيَّة».





عَرِفَ يزِيْدُ بْنُ مُعاوِية بن أَبِى سُفْيان، قائدُ الجَيْش، أَنَّ الشَيْخَ الذِى يَبْلُغُ ثمانِيْنَ عاماً، هُوَ أبو أيُّوب الأنْصَارى – «رَضِىَ اللهُ عَنْه» – الرجل الذى شَارَكَ فى مُعْظَمِ الغزَوَاتِ التِى خاضَها المُسْلِمُونَ، مُنْذُ غَزْوَةِ بَدْرٍ بِقِيَادةِ الرَسُول – صَلَّى اللهُ عَلِيه وَسَلَّم – حَتَّى فَتْحِ القُسْطَنْطِيْنِيَّة فى عَهْدِ مُعاوِية

بْنِ أَبى سُفْيان.

رَكِبَ أَبُو أَيَّوبُ الأُسْطُولَ الإسْلامِى غَازِياً فِى سَبِيْلِ اللهِ، لَمْ تَمْنَعْهُ الشَيْخُوخَةُ مِنْ المُشَارِكةِ فى القِتَالِ، بَعْدَ أَيَّامٍ مِنْ مُواجَهةِ العَدوِّ أَحَسَّ أَبُوْ أَيَّوبِ بالمَرَض، فَأَصَرَّ عَلَى مُواصَلَةِ الجِهَادِ، وَلكِنَّ المَرَضَ كانَ أَقْوَى مِنْه، فأَقْعَدَهُ عَنْ الحَرَكَةِ.

عَلِمَ يزَيْدُ بْنُ مُعَاوِيةُ بِمَرَض أَبى أَيّوب، فَجَاء يَزُوره، ثمَّ سَأَلَهُ:

– أَتُريد شَيئاً يا أَبَاْ أَيُّوبِ؟

فَقَالَ أَبُو أَيَّوب بصوت واهن، دَلَّ عَلى شِدَّةِ المَرَض:

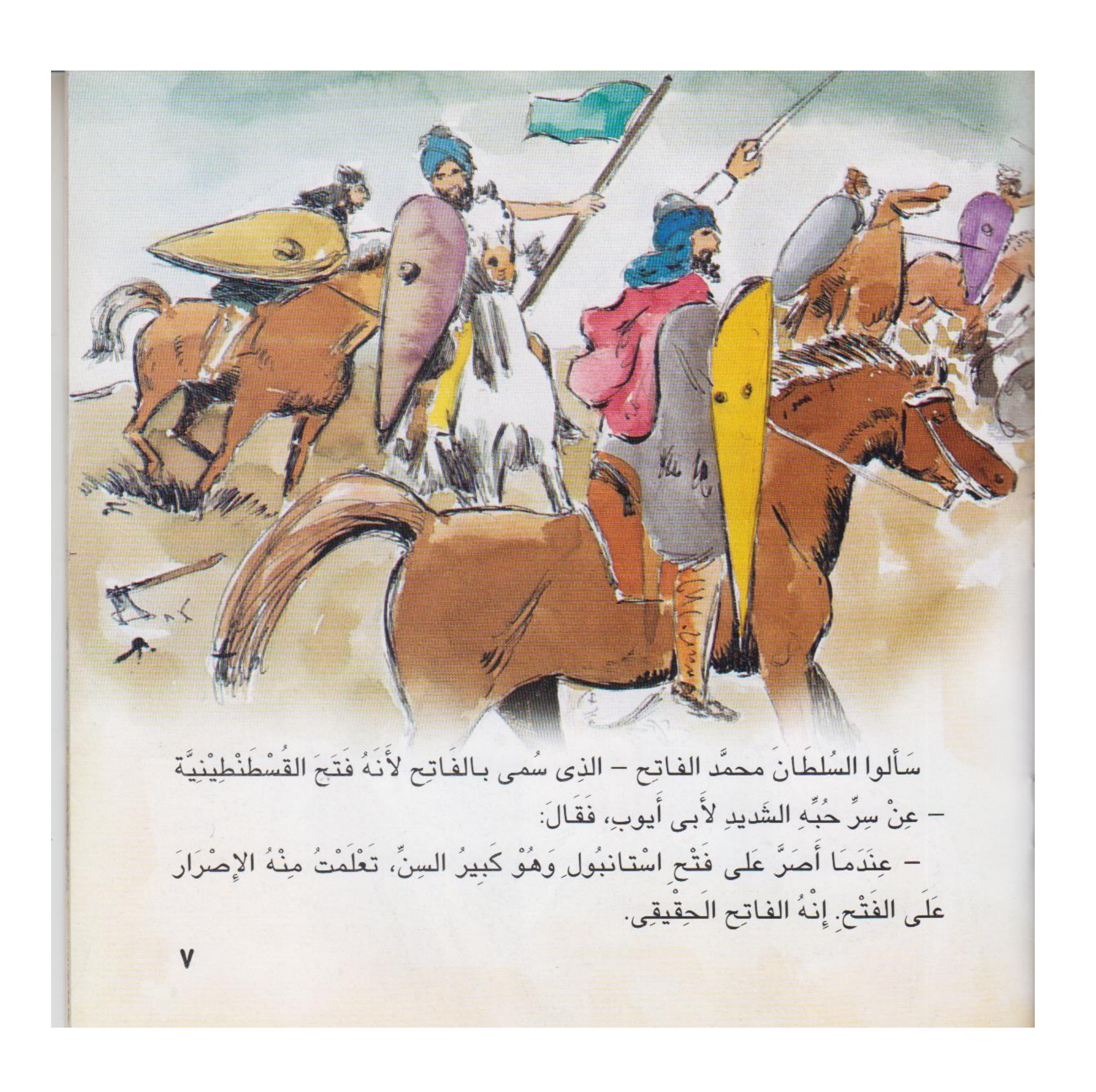
– اقْرَأْ عَنِّى السَّلامَ على جُنودِ المُسْلمِين، وَقُلْ لَهُمْ: يُوصِيْكُمْ أَبُو أَيّوب أَنْ تَدْخُلوا فِى أَرْضِ العدوِّ إلى أَبْعد مكَانٍ، وأَنْ تَحْمِلُوْهُ – يَقْصِد نَفْسَه – مَعْكُم، وأَنْ تَدْفِنُوهُ عِنْدَ أَسْوارِ القُسْطَنْطِيْنِيَّة!

وَمَا كَادَ أَبُو أَيّوبِ يَلْفَظُ كَلِمَةَ «القُسْطَنْطِيْنِيَّة» حتَّى لَقِىَ رَبَهُ، وَفَاضَتْ رُوْحُهُ الطَاهِرة.

اسْتجَابَ الجُنودُ لِرَغْبَةِ أَبى أَيَّوبِ، وَهَجَمُوا عَلى الأَعْداء حتَّى وَصَلُوا إلى أَسْوارِ «القُسْطَنْطِيْنِيَّة»، وَهُمْ يَحْمِلُونَ جُثْمانَ أَبى أَيوب مَعَهُمْ. وَهُنَاكَ دَفَنُوْه بَعْدَ أَنْ تَوقفُوا ولَمْ يتمكنُوا مِنْ فَتْحِها.

بَعْد مئاتِ الأعْوامِ جاءَ السُلطانُ العُثْمانِى «مُحمّد الفَاتِح»، وكانَ يَحْفَظُ سِيرةَ الصَحَابى الجَليل أَبى أَيوبِ، الرَجُلِ الذِى أَحَبَّ الرَسُولَ – صلى الله عليه وسلم – حباً كبيراً، وكان الرسول – صَلَّى اللهُ علِيه وَسَلَّم – يُحِبُّهُ حُباً كبيراً، وأَقَامَ فِى بَيْتِهِ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ، بَعْدَ هِجْرَتِهِ منْ مكَّةَ إلى المدِيْنَةِ، حَيْثُ بَرْكَتْ نَاقَتهُ «القصْوَاءُ» أَمَام بَيْتِ أَبى أيوب. وَكَانَ «مُحمَّد الفاتح» يَعْلَمُ مَدى شَوْقِ «أبى أَيوب» لِفَتْح «القُسْطَنْطِيْنِيَّة» عَاصِمَة الرُوم.. فَعَمِلَ بكلِّ إِخْلاصٍ وَجَدٍّ لِيتحقَقَ هَذا الفَتْحُ. أَعَدَّ جَيْشاً عَظيماً واخْتَرَقَ أَسْوارَ المدِيْنة الحَصِيْنة، وَتَحَققتْ – بِفَضْلِ اللهِ بَشارَةُ الرسولِ – صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم – وأُمْنِيةُ أَبى أَيوبِ، عَلى يَدِّ السُلطانِ مُحمَّد الفاتح، الذى أَطْلقَ على «القُسْطَنْطِيْنِيَّة» «إِسْلام بُول» التى صَارت «اسْتَانبول»، أىْ مَدينة الإِسْلامِ، وجعَلَها عَاصِمَةً للدُوَلِ الإِسْلاَمِيَّة.

بَعْدَ الفتح، طَلَبَ مُحمَّد الفَاتِح أَنْ يُعادَ دَفْنِ جُثْمان أَبى أَيوبِ دَاخِل «اسْتَانبُول»، وبَنَىَ لَهُ مَسْجِداً جَمِيْلاً دُفِنَ فى جُزْءٍ مِنْهُ، ولا يَذْهَبُ زائِرٌ إلى «اسْتَانَبول» إلا وَيَزورُ مَسْجِد أبى أَيوب.. وَفِى الأَفْرَاحِ والمُنَاسَبات السَعِيْدة يَذْهَبُ أَهَالِى استَانبولى يَوْم الخَمِيْس وَلَيْلَةِ الجُمْعَةِ فى أَزْيائِهِمْ الجَمِيلة لِزيارةِ أَبى أيوبِ فِى مَسْجِدِهِ وَقِرَاءةِ الفاتِحَة لَهُ.



سَألوا السُلطَانَ محمَّد الفاتِح – الذِى سُمى بالفَاتِح لأَنَهُ فتَحَ القُسْطَنْطِينِيَّة – عِنْ سِرِّ حُبِّهِ الشَديدِ لأَبى أَيوب، فقَال:

– عِندَمَا أَصرَّ على فَتْحِ اسْتانبُول وَهُوْ كَبيرُ السِنِّ، تَعْلَمْتُ مِنْهُ الإِصْرارَ عَلَى الفَتْحِ. إنْهُ الفاتِح الحَقيقِى.


الاِبْنُ المُجَاهِدُ

هُو فَارسٌ فِى جَاهِلِيَّتِهِ وفى إسْلامِهِ عَلى السَواءِ، شَهِدَ لَهُ بِفُرُوسِيَّتِهِ وشَجَاعَتِهِ أنْصارُه وخُصُومُه، حَاربَ ضِدَّ المسْلمينَ فى بَدْرِ وأُحُد والخَنْدق ويَوْم الفَتْح «فَتْح مكّة».. ولَمْ يَجِدْ بَعْد أَنْ دَخل النَّاسُ فى دِيْن اللهِ أَفْواجاً، مفرًّا مِن الهَرَبِ. وطلبتْ زَوْجُه أمُّ حكِيم مِن الرسُولِ - صَلَّى اللهُ علِيه وَسَلَّم - أَنْ يؤمِّنَهُ ويعفو عَنْه، فاسْتَجَاب لَهَا، وذَهَبتْ إلى اليَمَن لِتعودَ بزَوْجِها الهاربِ، وفى طريقِ عودتِهِمَا، وَعِنْدَ اقترابِهِمَا مِنْ مكّة، قَالَ الرسولُ - صَلَّى اللهُ عَلِيه وَسَلَّم:

«سَيأتِيْكُمْ عِكْرِمة بْنُ أبى جَهْلٍ مُؤمِّناً مُهاجراً، فلاَ تَسُبُّوا أَبَاه، فَإِنَّ سَبَّ الميتِ يُؤذِى الحَىَّ ولا يَبْلُغُ المَيِّتَ».

كَانَ عِكْرِمة مَعْروفاً بشدتِهِ عَلى المُسْلِمِينَ، لأنهُ كانَ يَسْعى إلى الثأْرِ لأبيهِ، «أَبى جَهْل»، عدوِّ الإسْلام، وَقائدِ الحرْبِ ضدَّ المُسْلمِين، وكانَ قَدْ لقِىَ مَصْرَعَهُ يَوْمَ بَدْر، ولَمْ يَسْتَطِعْ الابَنْ أنْ يدفِنَ أباه بِسببِ هَزِيمةِ المُشْركِينَ المرِيْرةِ.

الْتَقَى عِكْرِمةُ مَعَ زَوْجِهِ بالرسول صَلَّى اللهُ عَلِيه وَسَلَّم، حَيْثُ أَعْلَنَ إسْلامَهُ وَطلبَ مِن الرسولِ أنْ يستغفِرَ لَهُ كلَّ عداوةٍ ضد المُسْلِمِين، فاسْتَغْفَرَ لهُ، وسُرَّ عِكْرِمَةُ بِذلِكَ، وَقَالَ:

«أَمَا واللهِ يا رسولَ اللهِ، لاَ أَدَعُ نَفَقةً كنتُ أُنفقُهَا فى صَدٍّ عِنْدَ سَبيلِ اللهِ إلا

أَنفقتُ ضِعْفَها فِى سَبيل اللهِ، ولا قِتَالاً قَاتلْتُهُ صَدًّا عَنْ سبيلِ اللهِ إلا قَاتلتُ ضِعْفَهُ فى سَبيل اللهِ».

وانطلقَ الفارسُ يُحاربُ فى سَبِيل اللهِ دِفاعاً عَنِ الإسْلام، فَشاركَ فى المعاركِ التِى خَاضَهَا المُسْلمُونَ، وكانَ دائماً فِى الطَلِيْعَةِ حتَّى كانَ يَوْمُ اليرموك، فقاتلَ قِتَالَ الأبْطالِ الأشدَّاءِ، واخترقَ صفوفَ الأعْداءِ «الروم»، ولم يسْتَجِبْ لتحْذيرِ خالدِ بنِ الوليدِ، الذى قالَ لَهُ:

«لا تَفْعلْ يا عِكْرمة، فإنَّ قتلكَ سيكونُ شَديداً على المُسْلمِينَ».

فَردَ عليه:

«إليكَ عنِّى يا خَالدَ.. «أىْ اترُكْنِى وشَأْنى».

كانَ عِكْرمةُ يريدُ أنْ يكفِّرَ عمَّا فعَلهُ وأبوهُ ضدَّ الإسْلامِ والمُسْلمين.. ونَادى فى المُجَاهِدِين:

– مَنْ يُبايعُ عَلى الموْت؟

فبايَعَهُ أربعمائةُ رَجلٍ، قاتلوا قِتَالَ الأبْطالِ، وعِنْدَ انتهاءِ المعْركةِ، رَأَىْ الناسُ ثلاثةً من المجاهِدِينَ الجرْحَى، طلبَ أحدُهُمْ وَهُوَ «الحارثُ بنُ هشَام» (عمُّ عِكْرمة) ماءً ليشربَ ولمَّا جاءوا بِهِ رأى الحارثُ عِكْرمةَ ينظرُ إلى الماءِ، فَقَالَ: ادْفعوه إليهِ، فذهَبوا بهِ إلى عِكْرِمةِ فرأى المجَاهِدُ الثالثُ «عيَّاشُ بنُ



أَبى رَبيعةِ»
ينظرُ إليهِ،
فقالَ:
ادفعوه إليهِ، فلمَّا اقتربوا
منْ «عيَّاش» وجدوه قضى
نحْبهُ ولَقِيَ ربَّهُ. فعادوا إلى
الحَارثِ ثمَّ عِكْرِمةِ فوجدُوهُمَا
قدْ لَحِقَا بعيَّاشٍ ونَعِمَا
بالشَهَادةِ
والانتقالِ
إلى الآخِرَةِ،
بعْدَ حياةٍ
حافلةٍ
بالعِبَادةِ
وقراءة القرآن
والعملِ

والجِهَاد.

تذكَّرَ المسلمونَ فى عودَتِهِمْ ما قالهُ الرسولُ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّم، عَقِبَ إِسْلامِ عِكْرِمَةَ:

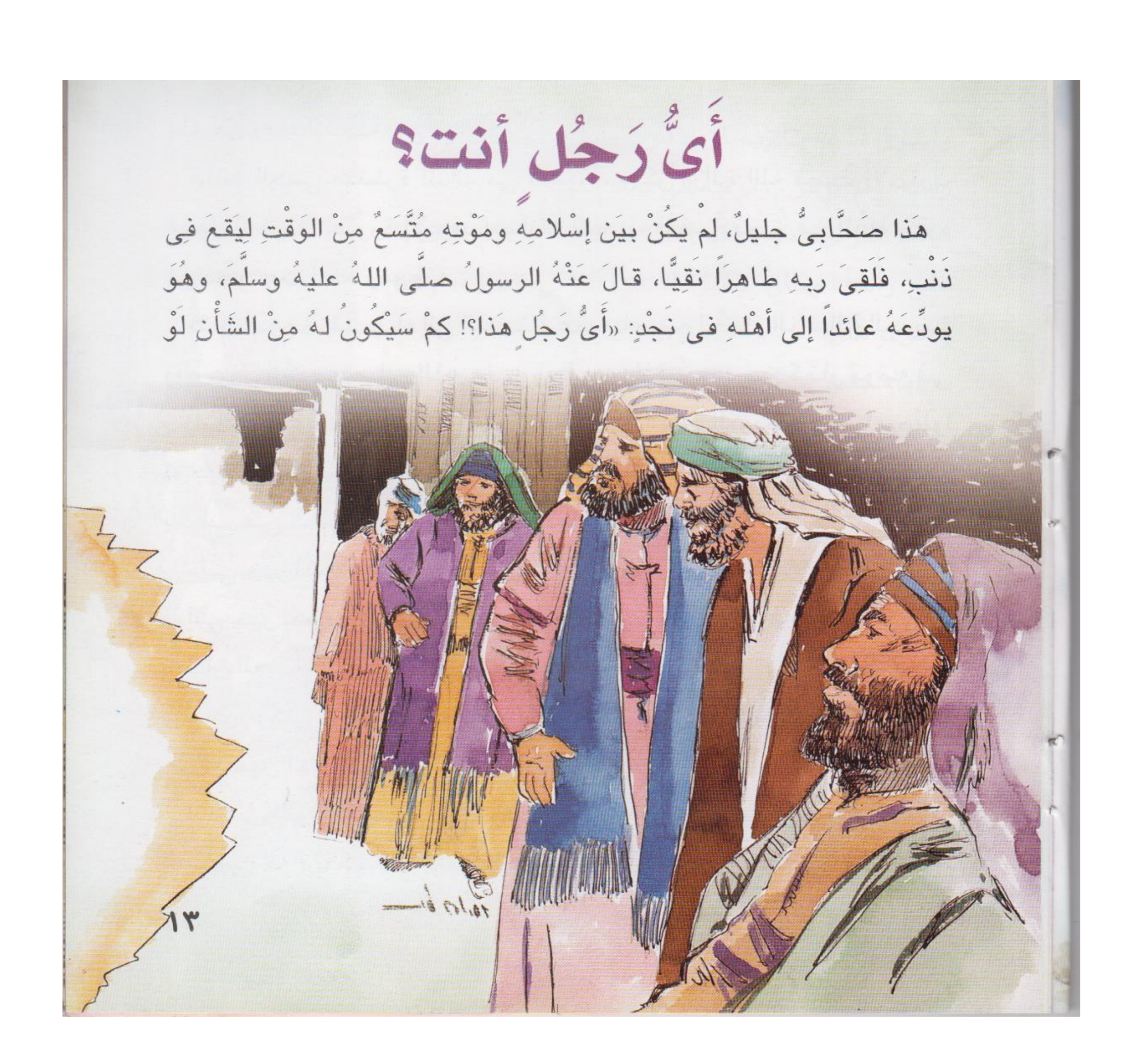
«اللهُمَّ اغْفِرْ كلَّ عداوةٍ عادانِيهَا، وكلَّ مسيرٍ سَارَ فِيهِ إلى موضِعٍ يريدُ بِهِ إِطْفَاءَ نورِكَ، واغفرْ لهُ ما نالَ مِنْ عَرْضِى فى وَجْهِى أَوْ أنا غَائِبٌ عنْه».

رَضِىَ اللهُ عَنْ عِكْرِمَة بن أَبى جَهْل.



أَىُّ رَجُلٍ أنت؟

هَذا صَحَّابِىٌّ جليلٌ، لمْ يكُنْ بينَ إسْلامِهِ ومَوْتِهِ مُتَّسَعٌ مِنْ الوَقْتِ لِيقَعَ فِى ذَنْبٍ، فَلَقِىَ رَبهِ طاهِرًا نَقِيًّا، قالَ عَنْهُ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهُ وسلَّمَ، وهُوَ يودِّعَهُ عائداً إلى أهْلهِ فى نَجْدٍ: «أَىُّ رَجُلٍ هَذا؟! كمْ سَيْكُون لهُ مِنْ الشَأْنِ لَوْ



سَلِمَ مِنْ وَبَاءِ المَدِيْنَة».

كانتْ الحُمى منْتشرةً آنْذاكَ فى المدِينة، ولِكنَّ إرادةَ اللهِ قضَتْ ألا يتْرُكَ الرجلُ المدينةَ المنوَّرةَ إلا وَقدْ أصَابتهُ الحُمى، فَقَضَىْ نَحْبَهُ فى أثنْاءِ سَفرِهِ إلى نَجْدٍ حيْثُ أَهْلُهُ وموطِنَهُ.

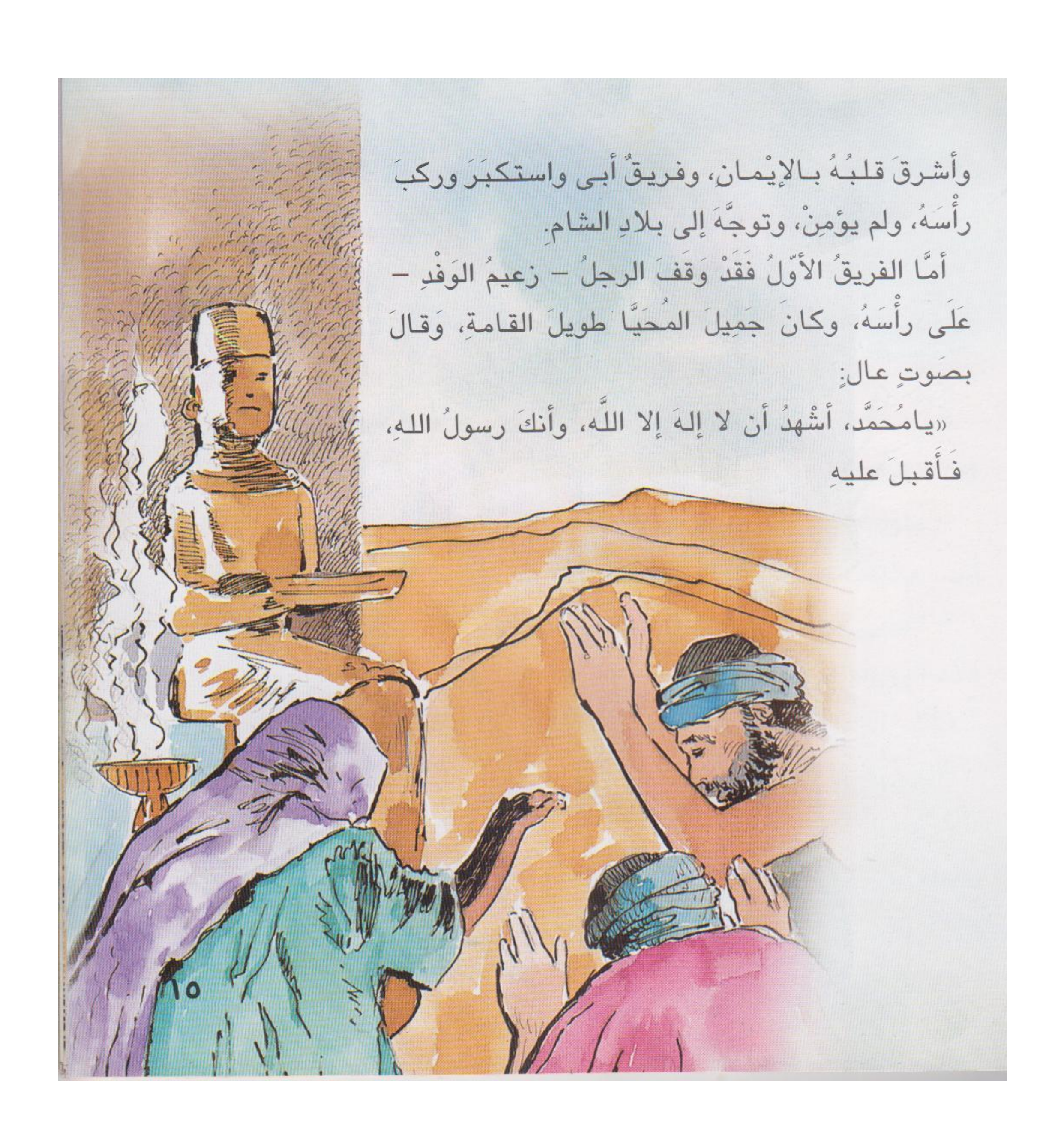
كـانَ الـرَجـلُ قـدْ جَـاء إلى المديـنـةِ عِنْدَمـا سَمِعَ أَخْبـارَ الـرسـالـةِ الجَديدةِ والـرسـولِ الـكـريـم صلَّى اللهُ عليـهُ وسلَّم، ورافقـهُ عدد من كبـارِ قـومِـهِ فى رِحْلتِهِمْ إلى يثْربْ «المدينة المنورة» لمُقَابلةِ النبىِّ الكريم، وعِنْدما وَصَلُوا توجَهُوا إلى المَسْجِدِ النبوىِّ الشريف فرَأُوا الرسولَ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم يَخْطُبُ على المنبرِ، وسَمِعُوْهُ يقول موجِّهاً كلامَهُ للمُسْلِمين:

«إنَّىْ خَيْرُ لكُمْ مِنْ العُزَىْ وَمِنْ كُلِّ ما تَعْبُدُوْنَ..

إنى خيرُ لكُمْ مِنْ الجَمِلِ الأَسْودِ الذِى تعبدونَهُ مِنْ دُونِ الله».

كَانَ العربُ المشرِكونَ يعبدُون أصْنامًا وأَوْثانًا مِنْ دون الله أشْهرُهَا اللاتِ والعُزَى، وَكانَ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهُ وسلَّمَ، يبينُ للمُسلمين فَضْلَ الإسْلام عَليْهِمْ حين أخرجهم من عبادة الأصنام إلى عبادة اللهْ.

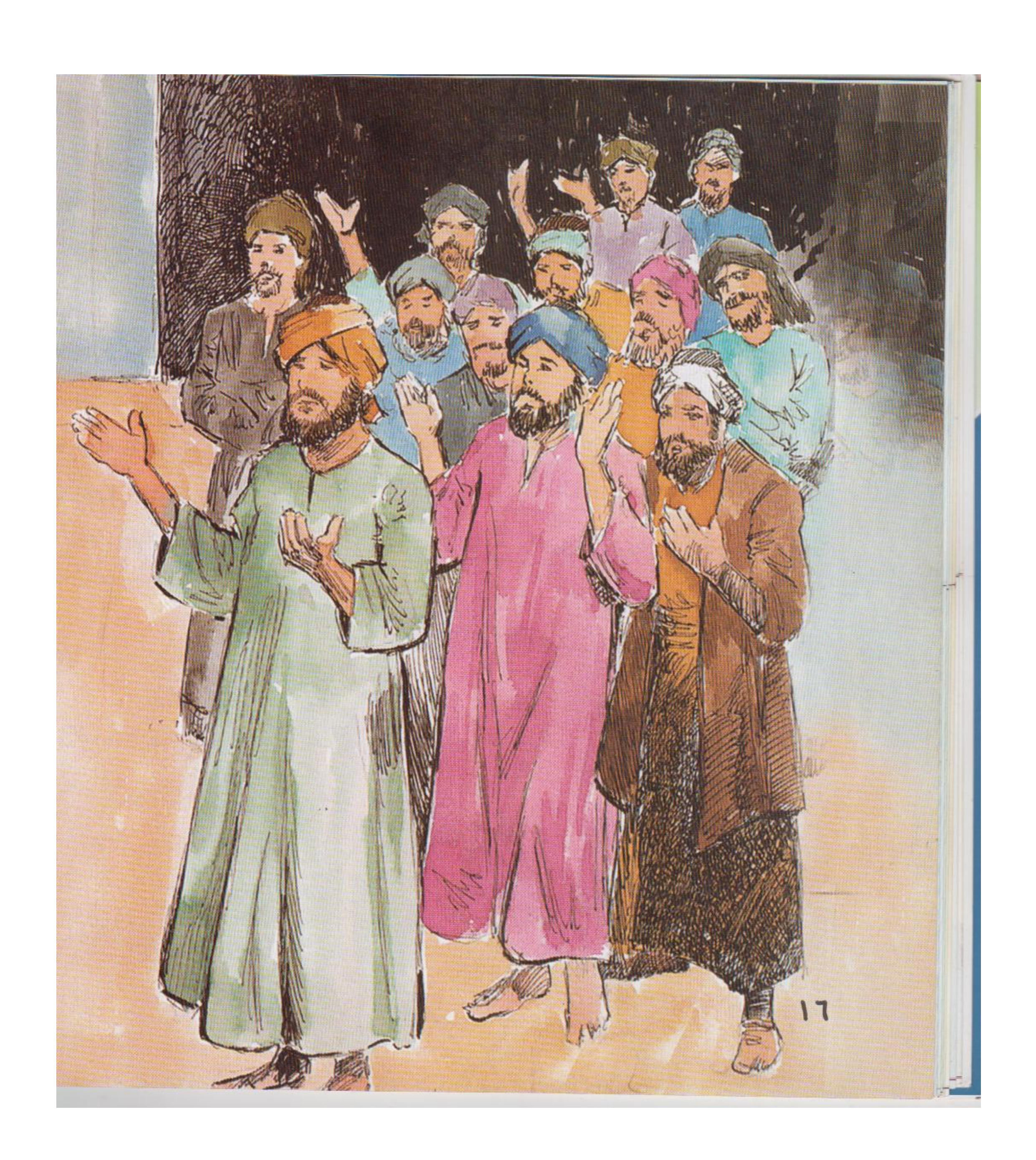
انْدهشَ الوفدُ القادمُ مِنْ نجْدٍ لبَلاَغةِ النبىِّ الكريمِ، وأدْهشَهُمْ تعَلُقَ المسْلمينَ بهِ وبكلامه، فانْقَسَمُوا فريقَينِ، فريقٌ استجابَ للدعوةِ الإسْلاميةِ،



وأشرقَ قلبُهُ بالإيْمانِ، وفريقٌ أبى واستكبَرَ وركبَ رأْسَهُ، ولم يؤمِنْ، وتوجَّهَ إلى بلادِ الشامِ.

أمَّا الفريقُ الأوّلُ فقَدْ وَقفَ الرجلُ – زعيمُ الوَفْدِ – عَلَى رأْسَهُ، وكانَ جَمِيلَ المُحَيَّا طويلَ القامةِ، وَقالَ بصَوتٍ عالٍ:

«يامُحَمَّد، أشْهدُ أن لا إلهَ إلا اللَّه، وأنكَ رسولُ اللهِ، فأَقبلَ عليهِ



النبىُّ الكريمُ، وقالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟

قالَ الرَجلُ: أنا زيدُ الخيْلِ بن مُهلْهل.

فقالَ له النبىُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ:

– «بل أنْتَ زيدُ الخيْرِ، لازيدَ الخيْلِ. الحمدُ للهِ الذى جاءَ بكَ مِنْ سَهْلِكَ، وجَبلِكَ، ورقَّقَ قلْبكَ للإسْلامِ، فَعُرِفَ الرجلُ بعْدَ ذلك بزيدِ الخيْرِ.

ثمَّ استضَافه الرسول صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، ومنْ معَهُ فى بيتهِ وأكرمَهُمْ، وفى منزل النبىِّ الكريمِ، قال لهُ الرسولُ:

– يازيدُ، ما وَصفَ لى رجلٌ قط، ثم رأيتُهُ إلا كانَ دُوْنَ ما وُصِفَ بِهِ إلاَّ أنْتَ» فالتفتَ زيدُ إلى النبىِّ الكريم وقالَ:

– أَعْطِنِى يارسولَ اللهِ ثلاثمائةِ فارسٍ، وأنا كَفِيلٌ لكَ بأَنْ أُغِيْرَ بِهِمْ على بلادِ الرومِ وأنالَ مِنْهُمْ.

فأكْبَرَ الرسولُ هِمتَهُ وعزيمَتَهُ ، وَقالَ لَهُ:

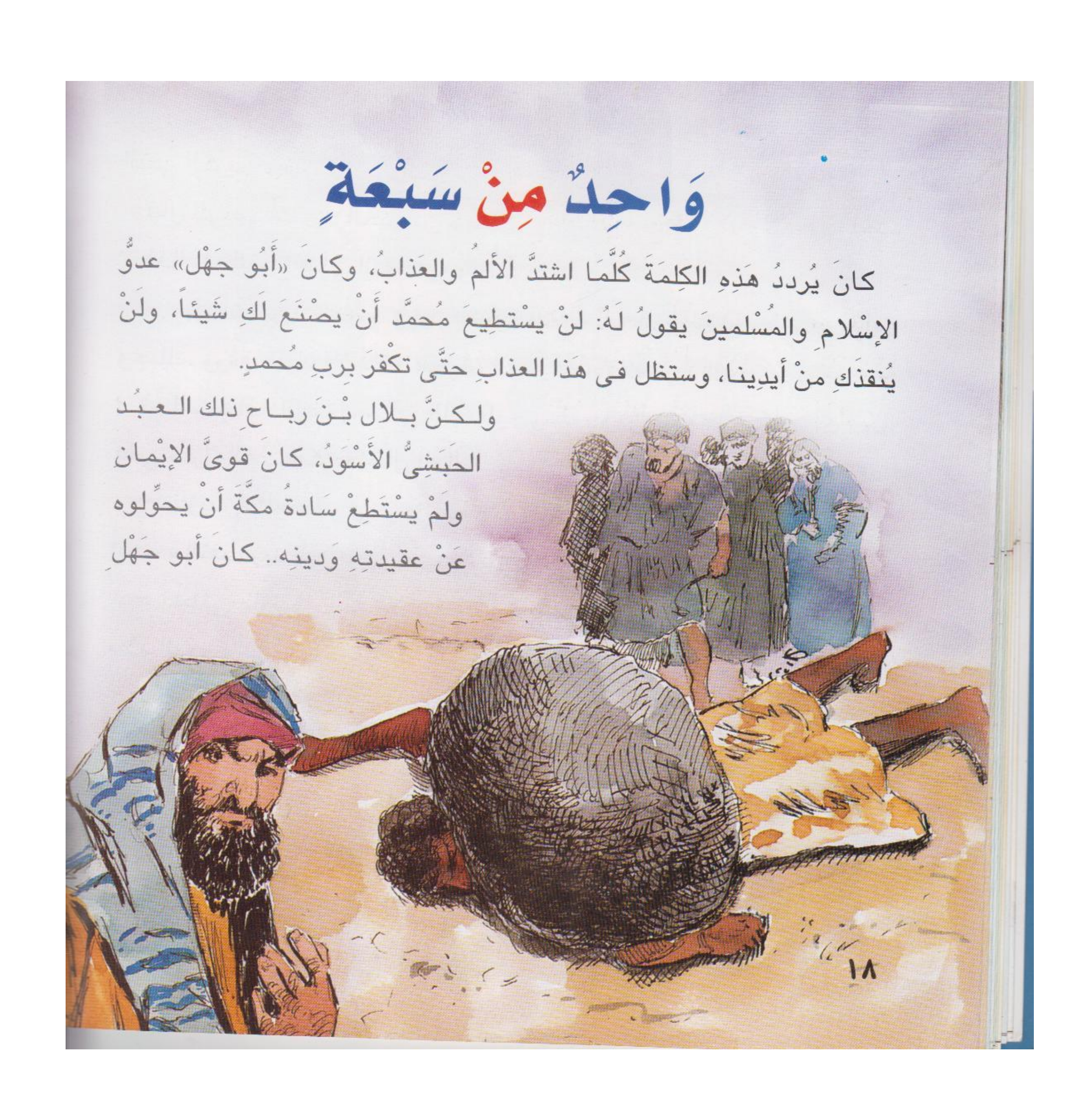
«لِلهِ دَرُّكَ يا زيدُ.. أىَّ رجلٍ أنتَ؟!».

كانَ زيدُ فى الجاهليةِ فارسًا مِغْواراً مَشْهوراً بالشهامةِ والنَجْدةِ والكَرَمِ والعفْوِ، وعندما أسْلمَ فَرِحَ المسْلمونَ بإسْلامِهِ، ولكنَّ القدَرَ لم يمْهلْهُ طويلاً، فماتَ وهُو عائدٌ إلى ديارِهِ وأهْلِهِ.. طاهراً نقيًّا.. رَضِىَ اللهُ عَنْهُ.

وَاحِدٌ مِنْ سَبْعَةٍ

كانَ يُرددُ هَذِهِ الكِلمَةَ كُلَّمَا اشتدَّ الألمُ والعَذابُ، وكانَ «أَبُو جَهْل» عدوُّ الإسْلامِ والمُسْلمينَ يقولُ لَهُ: لنْ يسْتطِيعَ مُحمَّد أَنْ يصْنَعَ لكِ شَيئاً، ولَنْ يُنقذَكِ منْ أيدِينا، وستظل فى هَذا العذابِ حَتَّى تكْفرَ برِبِ مُحمدٍ.

ولكنَّ بلال بْنَ رباحِ ذلك العبْدُ الحَبَشِىُّ الأَسْودُ، كانَ قوىَّ الإيْمانِ ولَمْ يسْتَطِعْ سَادةُ مكَّةَ أنْ يحوِّلوه عَنْ عقيدتِهِ وَدينِه.. كانَ أبو جَهْلِ



يَبْطَحُهُ عَلَى وَجْهِهِ فى الشَمْسِ فَوْقَ رمالِ مكّةَ الساخِنَةِ، ويضعُ عليه الرَحَى الثقيلةُ حتَّى تَصْهرَهُ الشمُس، ويقولُ لَه: اكفرْ بربِ مُحمدٍ، فيقولُ بلالُ: أَحَدٌ.. أَحَدْ.

وكانَ فى مكَّةَ سيد آخرَ من ساداتِ قريش اسْمُهُ «أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفَ» يُتابعُ تَعْذيبَ بلالَ ويفعلُ بهِ ما يفعلُهُ أبو جَهْل.. وَشاءتْ إرادةُ اللهِ أنْ يثْأَرَ مِنْهُ بِلالُ بعْدَ ذلكَ فيقتلُهُ فِى معْركةِ «بَدْر»، فكانَ ذلكَ مَصْدرَ فَرَحٍ للمُسْلمِين، وَقَالَ فِيه أبوبكْرِ الصِدِّيق رَضِىَ اللهُ عَنْه أبْيَاتاً مِنْها:

هَنيئاً زادَك الرحْمنُ خيرًا فقدْ أدْركْتَ ثارَكَ يابلالُ

كانَ بِلالُ مملُوكاً لإحْدِى السيداتِ فى مكَّةَ، ولمَّا اشْتَدَّ عليه العذابُ، رَأى المُسْلِمُون أنْ يشْتَرَوْهُ ويعْتقُوْه، أىْ يمنحونه الحُرِّيَّةَ، فتَحدَّثَ النبىُّ صلَّىَ اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم بِشَأْنِهِ إلى أبى بَكْرِ الصِّدِّيْق فأَرْسَل أبو بكْر العَبَّاسَ بنَ عَبْدِالمُطِّلَبِ إلى سَيدةِ بِلال لِيشْتَرِىَ بلالاً، فاشْتراه وبَعَثَ بِهِ إلى أَبى بكْرٍ وخلَّصَهُ مِنْ الحِجارةِ التِى كانَ مدفوناً يعذَبُ تَحْتَها.. وَصَار بِلالُ واحِداً مِنْ أشْهرِ الصَحابةِ رُضْوانُ اللهِ علِيْهِمْ، وأول مؤذن فى الإسْلامِ.. وكَانَ نَدِىَّ الصوتِ.



وبلالُ واحدٌ مِنْ سَبْعةٍ أظْهروا الإسْلامَ ورفَعوا رايتهُ حتَّى جاء نصْرُ اللهِ والفتْحُ، هُمْ: رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وأبو بكر، وعَمَّار، وأُمُّه سُميَّة، وصُهَيْبُ، وَبلالُ.

لَقَدْ شَهِدَ المَشَاهِدَ كُلَّهَا فى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمِ، وَحَارَبَ المشركينَ فِى كُلِّ الغَزَوَاتِ التى غزاها المُسْلِمُونَ، وَكَانَ يقولُ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ:



«يابلالُ ليْسَ عمَلٌ أفْضَلَ منْ الجِهَادِ فِى سَبيلِ اللهِ..».

وبعْدَ وَفاةِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، خَرَجَ بِلالُ إلى الشَامِ ليُجَاهِدَ مَعَ المُجاهِدِيْنَ، وَظَلَّ فى دَمَشْق.

وَذَاتَ يومٍ رأى النبىَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فى مَنَامِهِ وَهُوَ يقولُ:

«ماهذه الجَفْوَةُ يابلالُ؟ أما آنَ لكَ أنْ تزورَنا؟».

فانتبهَ حزيناً، وركِبَ إلى المدينةِ، وَأَتَى قَبْرَ النبىَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وَجَعَلَ يبكِىْ عِنْدَهُ، وأقبلَ عليهِ الحَسَنُ والحسين، فجعلَ يقبلهُمَا ويضمُهُما، فقالا لَه:



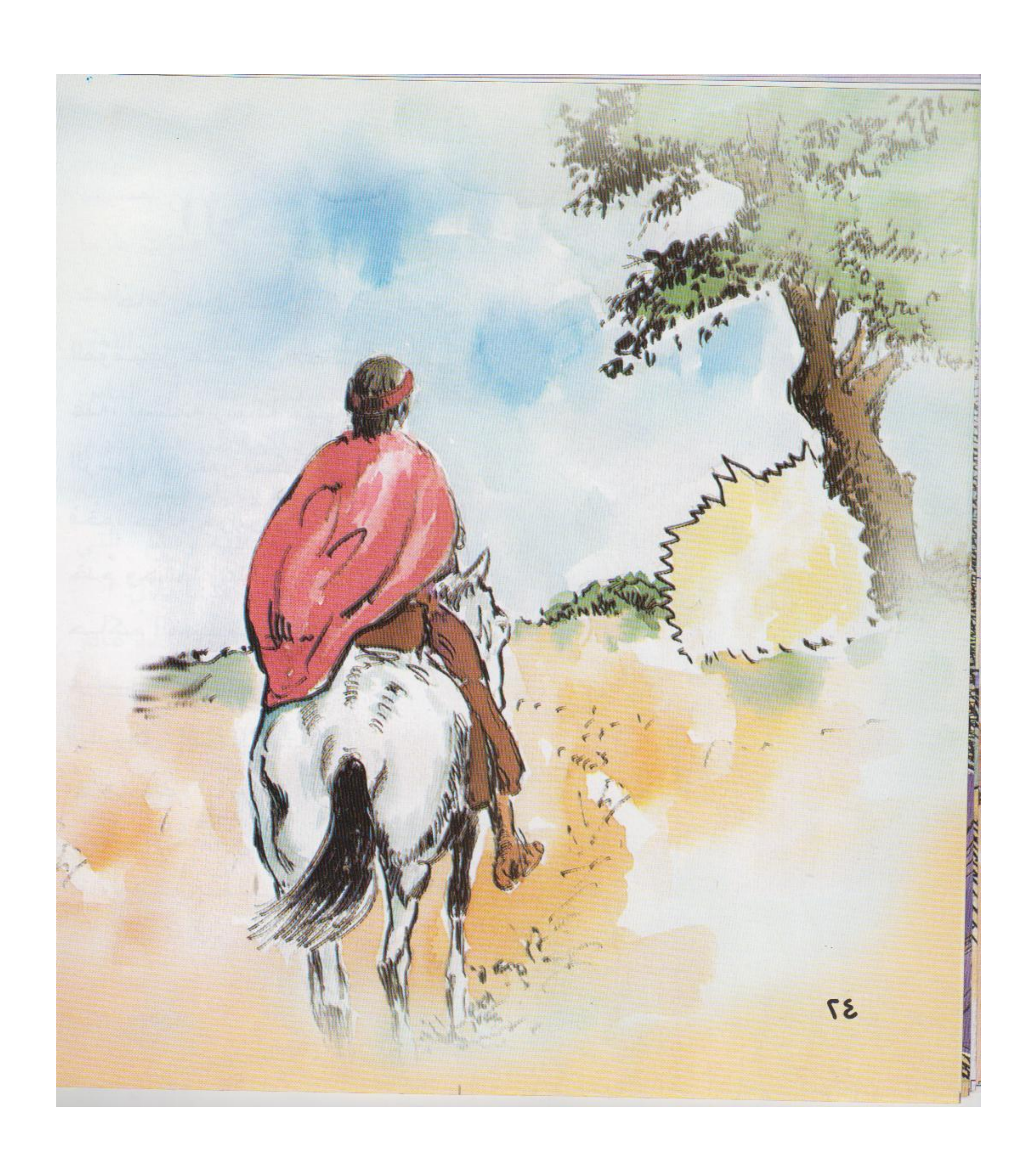
نشْتِهى أن توذِّنَ فى السَحرِ – ليُوقِظَ الناسَ لصَلاةِ الفجْرِ – فَعَلا سَطْحَ المسْجِدِ، فلمَّا قَالَ: «اللهُ أكْبرُ.. اللهُ أكْبَرُ ارتجَّتْ المدينة – أى اهتزت طرباً لصوتِهِ، فلمَّا قالَ: «أَشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللَّه» زادَتْ رجَّتُها، فلمَّا قالَ: «أشْهد أنَّ محمَّداً رسولُ الله»، خَرَجَ النِسَاءُ مِنْ بيُوتِهِنَّ، فمَا رأىَ الناسُ أكْثَرَ باكياً وَباكيةً منْ هذا اليومِ، حَيْثُ ذكَّرهم بأيامِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ التِى كانَ يؤذِّنُ فِيهَا بلالُ.

وفِى عَام ٢٠ هـ، غادرَ بلالُ رضِىَ اللهُ عَنْهُ الدُنيا لِلِقاءِ ربهِ، دُوْنِ أَنْ يُنْجِبَ وَلَداً وكانَ لَهُ أخٌ يُدعَىْ «خالد»، وأُخْتٌ تُسَمَّى «غفيرة».. يَرْحَمُهُ اللهُ.



الحقُّ عَلَى لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ

جَاء رسُولُ كِسْرَى؛ مَلِكِ الفُرسِ إلى المَدِينةِ المنورة، يبْحثُ عَنْ أَميرِ المُؤمـنِين عُـمَرِ بْـن الخطَّابِ، رَضِـيَ اللـهُ عَنْه، ليسَلِّمَهُ رِسَالةً مُهمةً، وَظَنَّ الرسولُ أنَّ عُمَر يَسْكُنُ فِى قَصْرٍ فَخمٍ، حَوْلَهُ حُرَّاسٌ أَشُدَّاء، وَفِيْهِ خَدَمٌ وَحَشَمٌ، وعندمَا سَأَلَ: أينَ حـاكِمُ المسْـلمِينَ عُـمَـرُ؟ قـالَ لـهُ الـنـاسُ: إنَّـهُ بِظَاهِرِ



المدِيْنَةِ.. أىْ فِىْ أَطْرَافِهَا.. فتَوَجَّهَ الرسولُ إِلى ضَوَاحِى المَدِينةِ، وهُنَاكَ دَلُّوهُ عَلى رَجُلٍ نَائمٍ تحْتَ شَجَرةٍ، وَجَعَلَ مِنَ التُرابِ وُسَادةٍ لهُ.. أىْ مخدَّةٌ يضَعُ عَليهَا رأسَهُ.. فانْدَهَشَ الرسولُ ممَّا سَمِعَ ورَأىْ، وَقالَ:

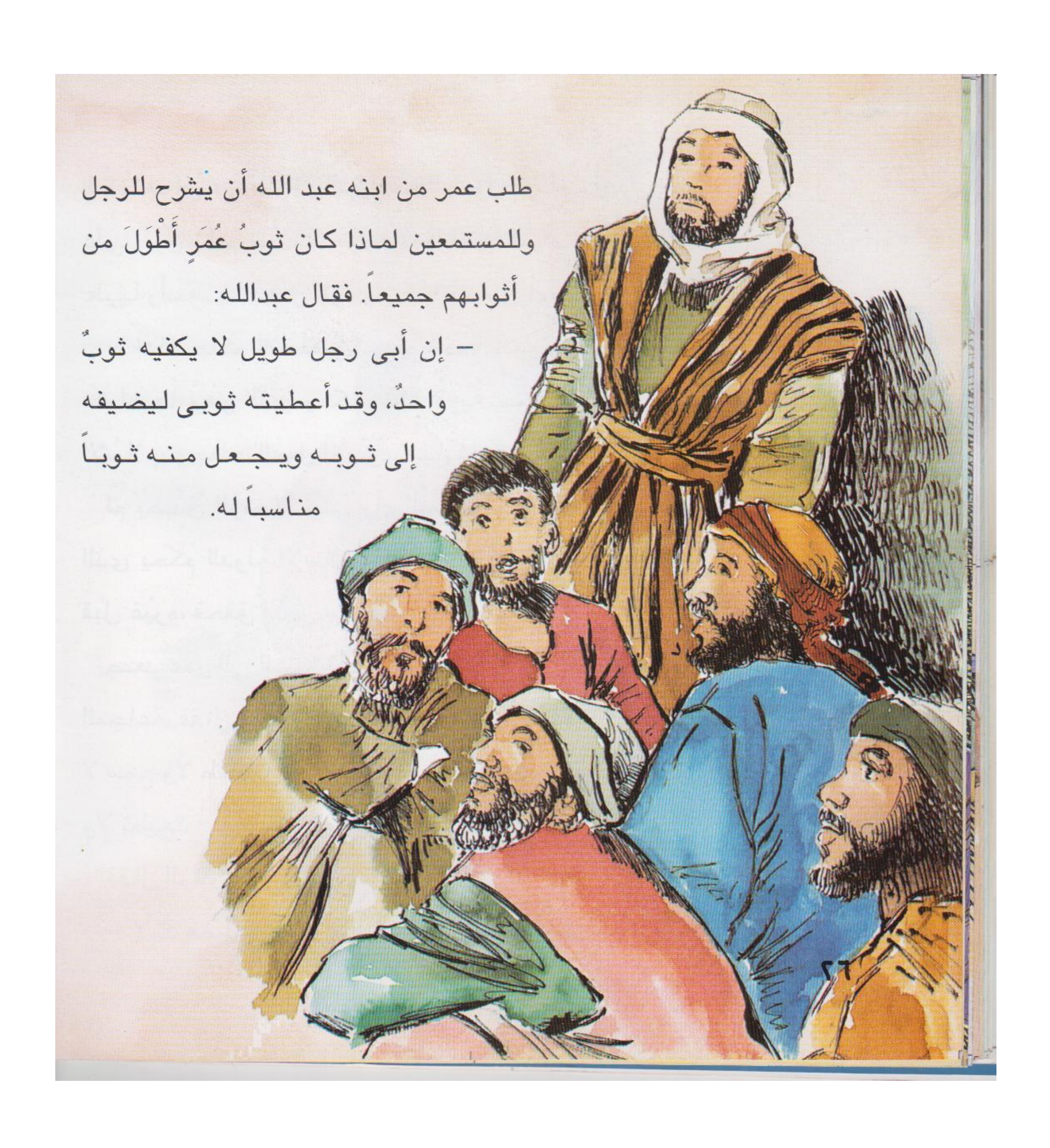
– أَهَذا حاكمُ المُسْلمِين؟ ينامُ تَحْتَ شَجَرةٍ ويتوسَّدُ الترابَ، ويلْبَسُ ثَوْباً مُتَواضِعاً وهُوَ الذِى يحكمُ دَولةً قويَّةً جمعت الغَرْبَ ووَحَّدَتْهُمْ تحتَ راية الإِسْلامِ، وجعَلَتْ الدُوَلَ الأُخْرَى تَهابُها وتَخْشَاهَا؟

لمْ يُصدِّقْ الرسولُ حتَّى رَأَىْ عُمْر، وتكلَّمَ مَعَهُ، وعَرِفَ أَنَّ أميرَ المُؤْمِنِين الذِى يحْكمُ الدولةَ الإِسْلامِيَّةَ يُطَبِّقُ العدْلَ عَلى الناسِ جَمِيْعاً، ويبدأُ بنفسِهِ قبْلَ غَيْرِهِ، فحققَ الأَمْنَ والطمأْنِيْنَةَ للجمِيعِ.

صَعَدَ عُمَر إلى المِنْبَرِ ذاتَ يومٍ فى عَامٍ كانَ يُسَّمى عَامُ الرمَادَةِ، أَىْ عَامُ المجاعة، فقال: أيها الناس؛ اسمعوا وأطيعوا.. فقام رجل من المسلمين وقال: لا سمع ولا طاعة ياعمر! فقال له عمر، ولم يا أخا العرب – أى لماذا لا تسمع ولا تطيع؟

فقال الرجل:

– لأنك فضلت نفسك علينا، وأخذت ثوباً أطول من أثوابنا،



طلب عمر من ابنه عبد الله أن يَشرح للرجل وللمستمعين لماذا كان ثوبُ عُمَرٍ أَطْوَلَ من أثوابهم جميعاً. فقال عبدالله:

– إن أبى رجل طويل لا يكفيه ثوبٌ واحدٌ، وقد أعطيته ثوبى ليضيفه إلى ثوبه ويجعل منه ثوباً مناسباً له.

فقال الرجل: الآنَّ نسْمعُ لكَ ونطُيعُكَ يا عُمَر.

وَهكذا كانَ عُمر دائِماً يُطبقُ العَدْلَ ويقولُ الحقَّ فَهابهُ الناسُ جَمِيْعاً، فِى جَاهِلِيتهِ وإسْلامِهِ. لقدْ كانَ فى جَاهِلِيتهِ شَديداً عَلى الإسْلام والمُسْلِمين، وَلكنَّهُ عِنْدما عَرفَ حَقيقةَ الإسْلام آمنَ على الفور، وَكانَ مِنْ السَابِقِيْن إلى الدُخول فِى دِيْن اللهِ، وَحقَّقَ اللهُ بإسْلامِهِ عِزَّ الإسْلام والمُسْلِمِيْن، فقدْ هَاجَر مِنْ مكَّةَ إلى المَدينة عَلناً، ولَمْ يخْشَ أهْلَ مكَّةَ المُشْرِكين، وَحَارب مَعَ رسول الله صلَّى اللهُ عليهُ وسلَّمَ معارِكَ المُسْلِمِيْن ضِدَّ الكافِرِيْن، وَكانَ اليد اليُمْنَى للخَليْفَةِ الأَوَّل أَبى بكْر الصِّدِّيق رَضِىَ اللهُ عَنْهُ، وتَولى بَعْدَهُ الخِلافَةَ وكَانَ أميرَ المؤُمنِينَ الذِى اهْتزَّ فِى عَهْدِهِ عَرْشُ كِسْرَى مَلِكُ الفرس، وَعَرْشُ قَيْصَر مَلك الرُومِ.. وَقالَ عَنْهُ الرسولُ الكريمُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ:

«إنَّ اللهُ جَعَلَ الحقَّ عَلَىْ لِسَانِ عُمَرٍ وَقلْبهِ..».

وَأكْرَمَهُ اللهُ بالشَهَادةِ عَلَى يدِ كَافِرٍ غَادِرٍ وَهُوَ يُصَلِّىْ الفَجْرَ فِىْ المَسْجِدِ.. رَضِىَ اللَّهُ عَنْ عُمَرِ بْنِ الخَطَّابِ.

أمٌ لجَمِيْعِ المؤْمِنِيْن

خَرَجَتْ السيَّدُة الْحَزِينةُ إلَى مكَانٍ يُسَمّى «الأَبْطَحُ» بمكّةَ المُكرمةِ، وَجلَسَتْ تَبْكى حظَّها العاثرِ، فَقدْ فرَّق المشركون منْ قُريشٍ أُسرتها، وَصارتْ هى وزوجُها وولدْها فى أماكن بعيدة عن بعضها: زوجُها فى المدينة المُنوّرة حيث لَحقَ بالمهاجرين مِن مَكَّة، وهى مع قومِها بنى



مخزوم، أمّا ولدُها «سلمة» فقد انتزعَهُ منها أَهْلُ زَوْجِها بعد أن خلعوا يَدَه وهو طفلٌ رَضِيعٌ.

كَانتْ «أم سلمة» وزوجُها وطفلُها فى طريقِهم إلى المدينة المُنوّرة، مهاجرين فراراً بدينهم، ولكن المُشركِينَ لَحقُوا بهم. فقال بنو مخزوم لأبى سلمة: إن زوجتك ابنتُنا، فإذا شِئْتَ الرحيل فاذْهبْ وَحْدَك، وتركوه يهاجر؛ وأخذوا أم سلمة وابنَها. ولكن بنى عبدالأسد، قوم أبى سلمة، لم يعجبهم ما فعله بنو مخزوم مع رَجُلِهم، فقالوا لهم فى غضب: لن نترك ابنَنا عندكم بعد أن انْتَزَعْتُموه من أبيه، فهو ابنُنا ونحن أَوْلَى به، ثم أخذوا يتجاذبون «سلمة» على مرأى من أمِّه حتى خَلَعُوا يَدَه. وفى لحظات وجدت «أم سلمة» نفسها ممزّقة الشمل، وحيدةً، حزينةً!

بقيتْ السيدةُ الحزينةُ عاماً أَوْ نحو عامٍ، تَخْرجُ إلى «الأَبْطَح» كُلَّ يومٍ، وتجلسُ تَبْكى حتى يَعُمَّ الظلامُ، فتعود إلى البيتِ، وذات يومٍ رآها بعضُ أقاربها على هذه الحالِ، فعطَفُوا عليها، وعَمِلُوا على إطْلاقِ سَراحِها لتلحقَ بزوجَها مع ولدِها.

أعدَّت «أم سلمة» بعيرها، وخرجت مع ولدِها الصغير، قاصدةً المدينةَ، فلقيتْ «عثمانَ بنَ طَلْحَة» عند «التَنْعِيم» فى أطرافِ مكةَ.. ولما عَرِفَ أنَّها

وحيدةُ، أصرّ على مرافقتها حتى المدينة، وعاد من حيث أتى، وكان لَمْ يُسْلمْ بعد. قالت عنه أم سلمة: والله ما صَحِبْتُ رجلاً من العرب قطّ أكرمَ منه ولا أشرفَ.

اجتمع شملُ العائلةِ المتفرّقةِ، وسَعِد أبو سلمة بزوجهِ هندَ المَخْزُوميةِ، وولدِهما سَلَمَة، وعاشُوا فى المدينةِ بجوار الرسول الكريمِ – صلى اللهُ عليه وسَلّمَ – يشْهدون أروعَ أيامِ الإسلام.

شَهِدَ عبد اللّهِ بنُ عَبْدِ الأَسدِ (أبو سلمة) معركةَ بدْرٍ، وأبْلَى فيها بلاءً حسناً حتى انْتَصرَ المسلمُونَ، وخاضَ معركَةَ أُحُدٍ، وقاتلَ قتال الأبطالِ حتى جُرِحَ جُرْحاً بليغاً. وبعْدَ فترةٍ ظنّ أبو سلمة أن الجُرْحَ شفى، ولكنه لم يُشْف فى الحقيقة وإن كان قد جفّ فى الظاهر.. فتسمّم الجسدُ الطيبُ، ولزم صاحبُه الفراشَ أياماً، حتى جاءه الرسولُ صلى الله عليه وسلم ليعودَه، وما كادت الزيارةُ تنتهى حتى فاضَتْ روحُه إلى بارئها، فأغْمَضَ النبىُ عليه الصلاة والسلام بيديه الشريفتين عَيْنَى صاحبهِ، ثم رفعِ طرفَه إلى السماء، ودعا له بدعاءٍ طويلٍ جاء فيه:

«اللهم اغْفِرْ لأبى سَلَمَة، وارْفَعْ درجتَه فى المقرّبين....».

حَزِنَ المسلمون لمُصاب «أمّ سَلَمَة» حُزْناً شَدِيداً، كما لَمْ يحْزَنوا لمُصَابِ

أَحدٍ من قبل.. وعَاشَتْ «أَمُّ سلمة» تتذكر ماضِيها مَعَ زَوْجِها الراحلِ يومَ أَسْلما، وكانا من أوائل الذين أَسْلَمُوا فى مكةَ سرًّا، ثم هَاجَرا إلى الحبشة فراراً بدينِهما، ثم عادا إلى مكةَ بعدما عَلِما أن عددَ المسلمينَ قد ازداد، وأنّ حمزة بن عَبْدِ المطلب وعُمَرَ بْنَ الخطّابِ، قد انضما إلى قافلةِ الإسلام، فظنّا أنّهما يمكن أن يعيشا فى سَلامٍ وأَمانٍ، ولكن أذى المشركين ازدادَ وتضخم، فخاضت «أمُ سلمة» مع زَوْجها تجربةَ الهجرةِ المريرةِ إلى المدينةِ، وتذكرت «أمَّ سَلَمة» ما قالَهُ زوجُها عندما اقتربَ منه الموتُ:

يا أمَّ سَلَمة، سمعت رسولَ الله – صلى اللهُ عليه وسلم – يقول:

«لا يصيب أحداً مصيبةٌ، فيسترجعُ (أى يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون) عند ذلك، ويقول: اللهمَّ عندك احتسبتُ مصيبَتى هذه.. اللهم اخْلُفْنى خيراً منها إلا أعطاهُ اللهُ عزّ وجل..».

اسْترجَعتْ «أم سَلَمَة»، ودَعَتْ ربّها، وتقدّمَ إليهَا أبو بكْرٍ وعُمَرُ رَضِىَ اللهُ عَنْهُما واحِداً بعْدَ الآخرِ ليتزَوجَاهَا، ولكنَّها رفَضَتْ، ثُمَّ عوّضَها اللهُ بمنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْ أبى سَلَمَة، وهُوَ الرسولُ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ – الذِى تزوَّجَها، حَيْثُ استجَابَ اللهُ دُعاءَها، ولمْ تعدّ أمًّا لسلمةَ وَحْدَهُ، وَلكنَّها صَارتْ أمًّا لجَمِيعِ المؤْمِنِيْن.



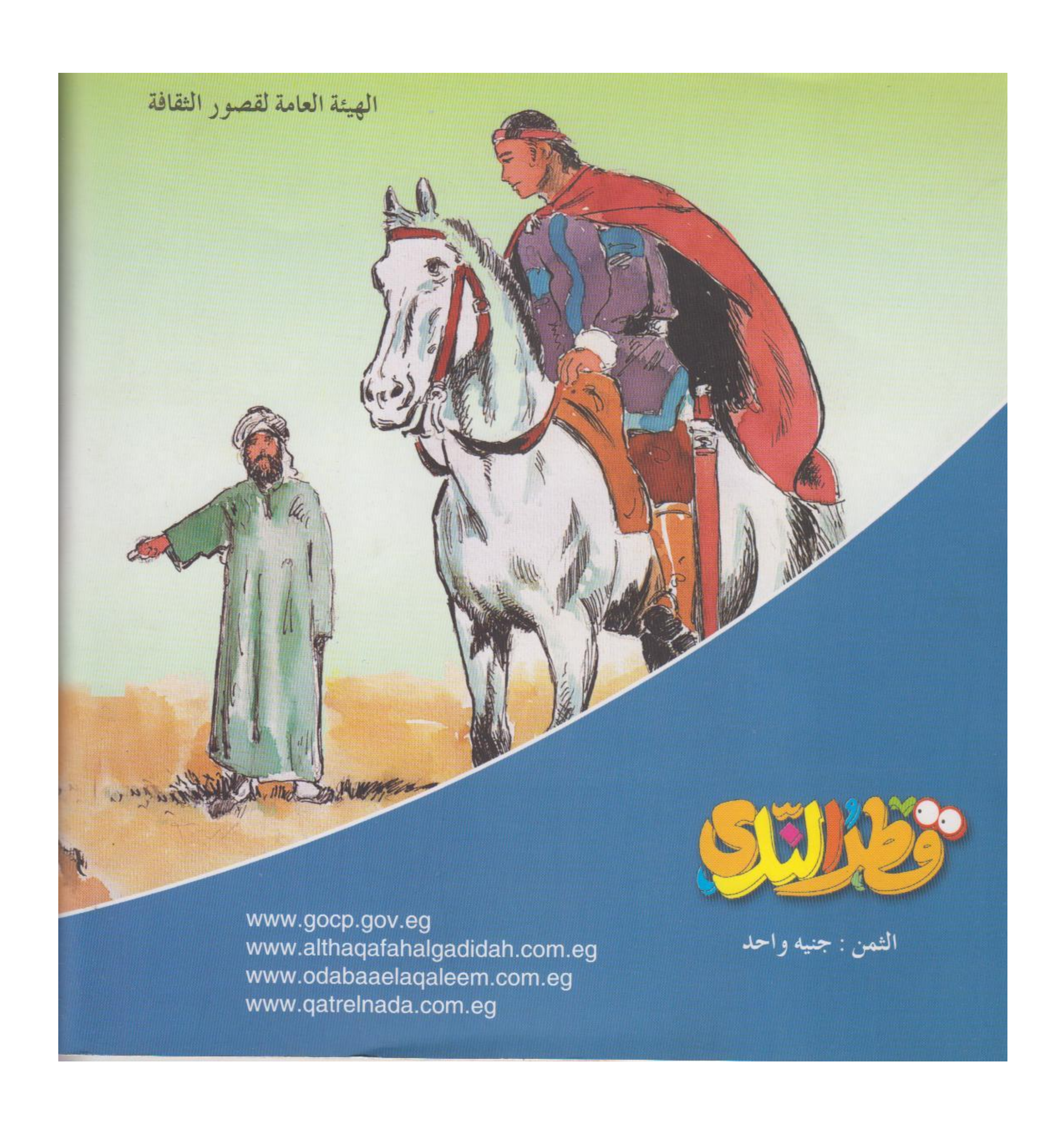


السلسلة الفائزة بجائزة
سوزان مبارك للنشر ٢٠٠٥

رقم الايداع : ٢٠٠٧/٢٢٩٥٩
الترقيم الدولى : 977-437-514-9

من أعدادنا القادمة :

- الإسكافى والشيخ الوفى، تأليف: عفاف عطية
- حكايات ندى، تأليف: نعمات البحيرى


الهيئة العامة لقصور الثقافة
قطر الندى
الثمن : جنيه واحد
www.gocp.gov.eg
www.althaqafahalgadidah.com.eg
www.odabaaelaqaleem.com.eg
www.qatrelnada.com.eg